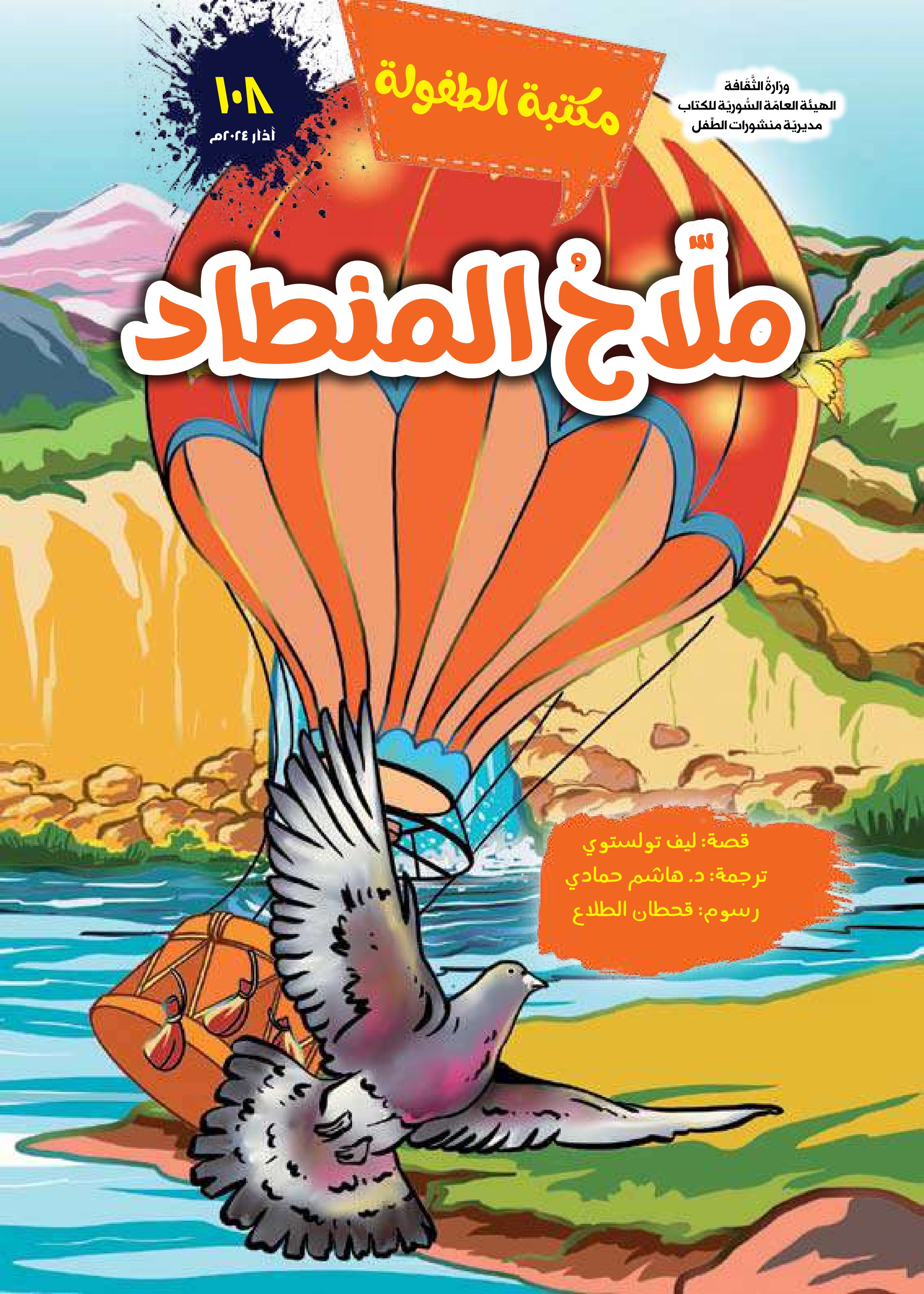
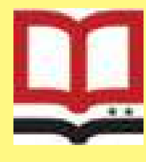


وزارةُ الثَّقَافة
الهيئة العامّة السُّوريّة للكتاب
مديريّة منشورات الطّفل
مكتبة الطفولة
١٠٨
آذار ٢٠٢٤م
ملّاحُ المنطاد
قصة: ليف تولستوي
ترجمة: د. هاشم حمادي
رسوم: قحطان الطلاع



مكتبةُ الطّفولة

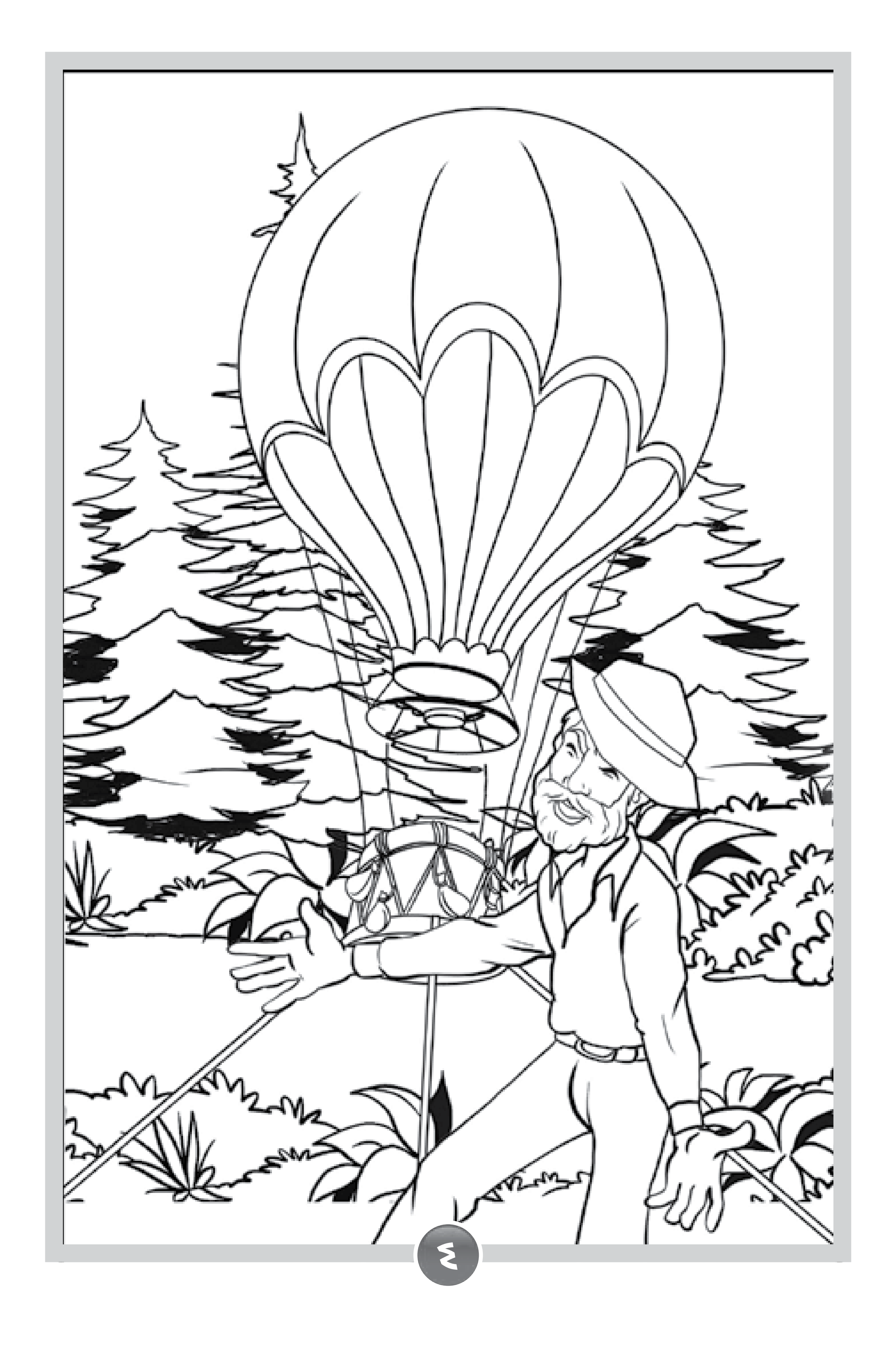
سلسلة قصصيةٌ موجّهة إلى الأطفال



قصة: ليف تولستوي

ترجمة: د. هاشم حمادي

رسوم: قحطان الطلاع



توافدَ الناسُ من كلِّ مكان لكي يُشاهدوا طيراني. كانَ المنطـادُ قـد أصبـحَ جاهزاً للإقـلاع. ها هـو ذا يرتعشُ، ويندفـعُ نحـو الأعلـى، لكنّـهُ لا يسـتطيعُ التحليـقَ في السماء، فهو مربوطٌ إلى الأرض بأربعة حبال متينة، فتراهُ يتجعّدُ حيناً، وينفتحُ حيناً آخر.

ودّعـتُ أهلي، وجلسـتُ في السّـلّـة، ورُحتُ أتفقّـدُ مـا فـي داخلها، لكـي أتحقّـقَ مـن أنّ كلَّ أغراضي في أماكنها، وأنّـني لم أنسَ شيئاً. ثـمّ صحتُ قائلاً:

هـيّـا أطْـلِـقُـوه!

قُطِعَـت الحبـالُ الأربعة، فاندفعَ المنطـادُ نحو الأعلى بهدوء فـي البداية، كأنّـهُ حصانٌ أُفلِـتَ من عقاله، وراحَ يتلفّتُ، وهو يَـعْـدُو.

فجـأةً، انطلـقَ المنطادُ بقـوّة، فراحت السـلّـةُ ترتعشُ وتهتـزّ، وفـي الأسـفل كان الـمُشـجّعُونَ يُصفّـقُـونَ



بأيديهم، ويهتفون هتافـاتٍ رائعةً، ويُلوّحونَ بقُـبّعاتهم ومناديلهم، فما كانَ منّـي إلّا أنْ رُحتُ أُلوّحُ لهم بقُبّعتي بكلِّ فرح، لكنّني لم أكدْ أضعُها على رأسي من جديد، حتّى أصبحتُ على ارتفاع شاهق جدّاً، بحيثُ لم يَـعُـدْ في مقدوري تمييزُ الناس في الأسفل إلّا بصُعوبة بالغة.

في اللحظات الأولى دبَّ في نفسـي الرُّعبُ، واقْشعرَّ بدَنـي مـن رهبة الـموقـف، لكنّني لم ألبثْ أنْ شـعرتُ بالمـرَح والـمُتْعة، ونسـيتُ الخوفَ والرهبـةَ، ولم أعُدْ أسمعُ صخبَ المدينة إلّا خفيفاً وواهياً جدّاً.

كانَ ضجيـجُ الناس في الأسـفل يصلُ إلى مسـامعي كطنيـن النحل، وبدَتْ لي الشـوارعُ والـمنـازلُ والنهرُ والبسـاتين مـن تحتـي، كأنّـها لوحـةٌ مرسـومةٌ بمهارة وإبداع، وخُـيِّـلَ إلـيّ أنّني ملكُ هذه المدينة كُـلِّها بكلِّ

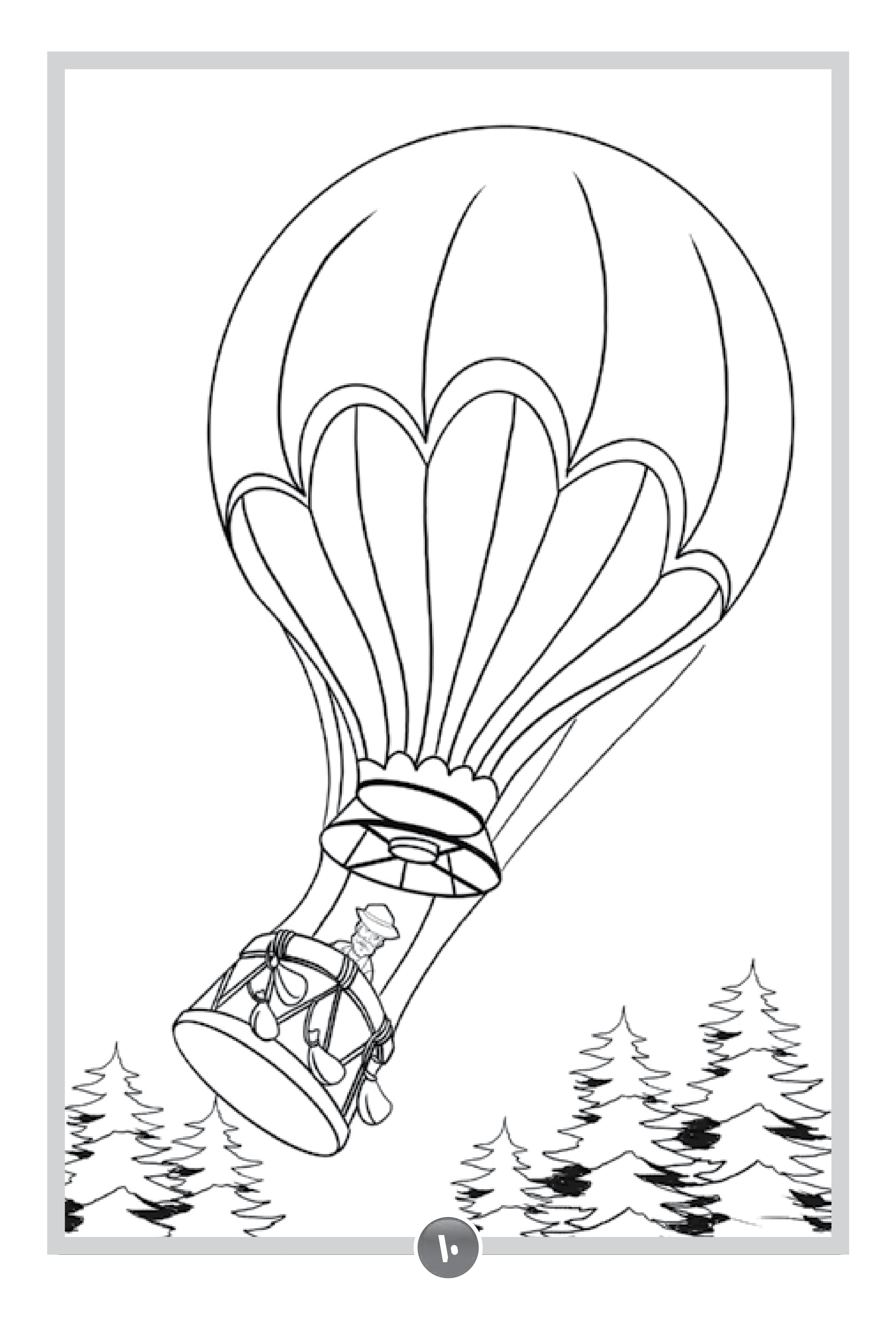
مَــنْ فيها. على هذا النحو الـمُثير كانَ الـمرحُ يغمرُني، وأنا أطيرُ في الأعالي.

ارتفعـتُ عالياً جدّاً. وحدَها الحبالُ في السـلّة كانت تتحرّك.

فجأةً هـبّت ريحٌ قويّة، وقلـبَـتْـني في مكاني بشدّة، ثم بدأتُ ألاحظُ أنني أطيرُ نحوَ الأعلى، وأنّ صورةَ المدينة من تحتي تصغُـرُ وتصغـر، بينما راحَ مدى الرؤية يزدادُ اتّساعاً، وبدَت الأرضُ في الأسفل، كأنّـها تكبرُ وتتّسعُ رُويداً رُويـداً، وعلى حين غـرّة راحت تبدو لي، كأنّـها كأسٌ بارزةُ الجوانب، بينما تستقرُّ المدينةُ في قعرها.

أخذَ فرحي يزدادُ باطّراد، وبدأتُ أجدُ سـهولةً وبهجةً في التنفُّس، حتّى إنني شـعرتُ بالرغبة في الغناء. نعم، بـدأتُ أغـنّـي أغنيـةً أحـبُّـها، لكنَّ صوتي تـردّدَ خافتاً ضعيفاً، لا يُسمَعُ إلّا بصعوبة، وأثارَ هذا دهشتي وخوفي وارتيابي.



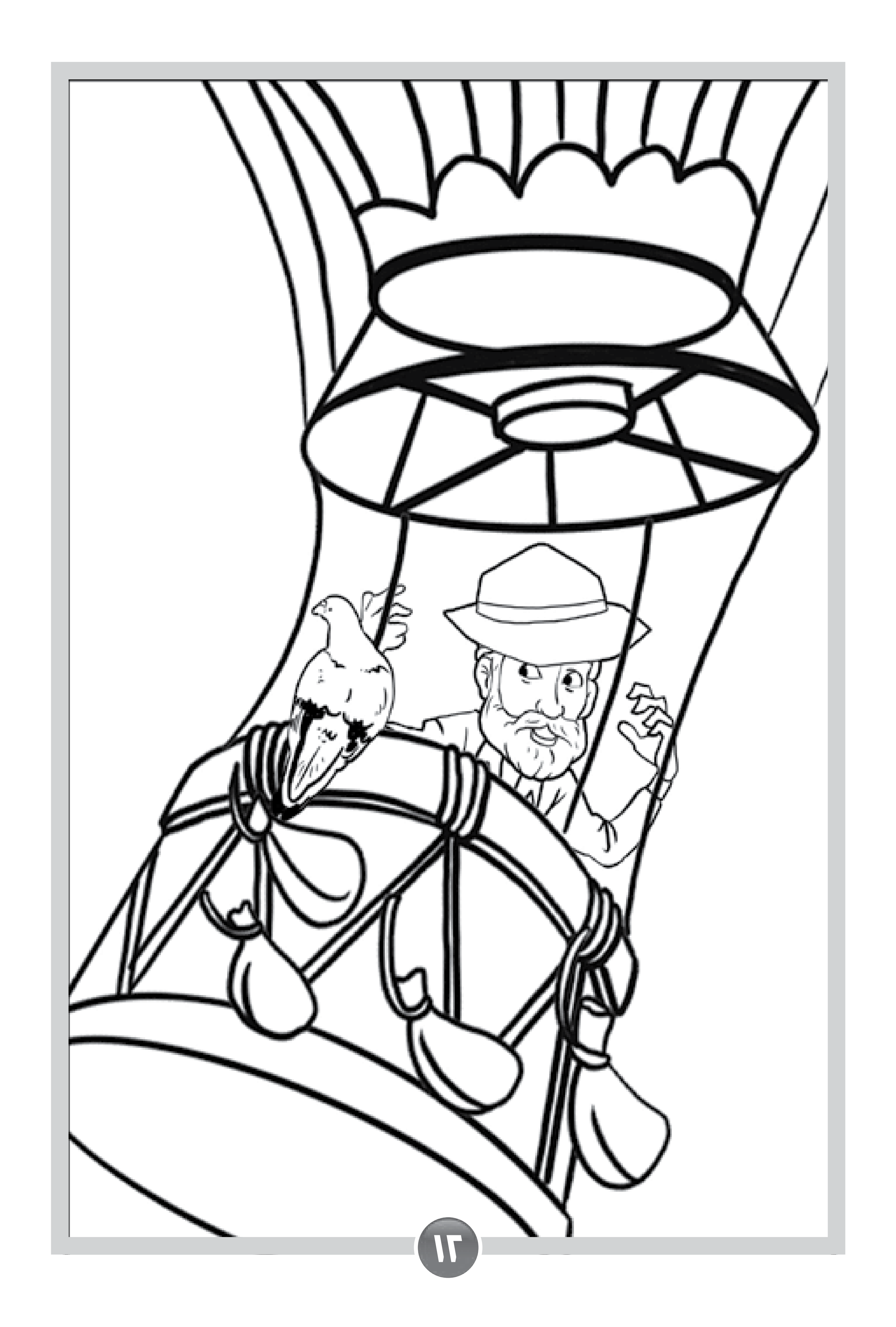


لا تزالُ الشمسُ الـمُشرقةُ عاليةً، لكنّ سحابةً ظهرتْ فجـأةً، وحجبَـتْ نورَها. حينها اسـتولى علـيّ الخوفُ مـن جديـد، لكنّنـي أخـذتُ أشـغلُ نفسـي بشـيء ما، فقـد أخرجتُ مقيـاسَ الضغـط الجوّيّ، ونظـرتُ فيه، فاكتشـفتُ أنني على ارتفاع يزيدُ علـى أربعة آلاف متر تقريباً.

لم أكدْ أضعُ مقياسَ الضغط الجويّ في مكانه، حتّـى خفقَ شيءٌ قُربي، ولـمّـا التفتُّ رأيتُ حمامة.

هُـنـا تذكّـرتُ أنني أخذتُ هـذه الحمامـةَ معي لكي أبعثَ برسالة إلى الأسفل، ولقد كتبتُ على ورقة: إنني حــيٌّ، وفـي صحّة جيّدة، وأنـا الآن على ارتفـاع أربعة آلاف متر أو يزيد. ثم ربطتُ الورقةَ إلى عُنق الحمامة.

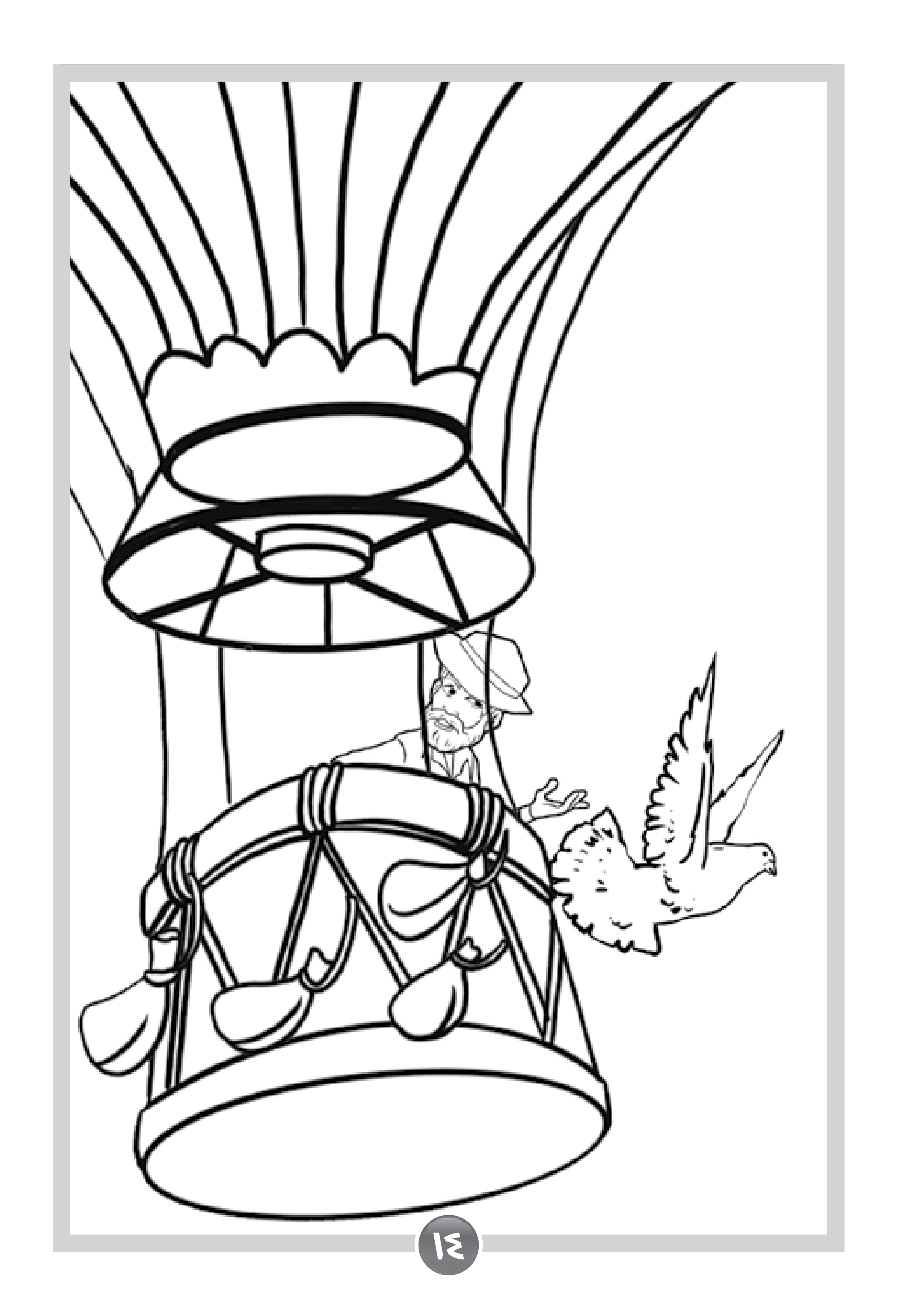
كانـت الحمامةُ جالسـةً على حافة السـلّة تنظـرُ إلـيَّ بعينيهـا الـمـائلتيـن إلى الـحُـمْـرة، كأنّـها ترجوني ألّا أُطلقَـها.



منذُ أنْ أصبحَ الجوُّ غائماً، لم يعُد في الإمكان أنْ ترى شيئاً في الأسفل، لكنْ لا بُدّ من إرسال الحمامة، ولمّا أمسكتُها بيدي راحتْ ترتجفُ بكلِّ ريشها، فأبعدتُ يدي عنها، ثم أطلقتُها. رفرفتْ بجناحيها بتوتُّر، ثمّ طارتْ، وسقطتْ كالحجر نحوَ الأسفل.

نظرتُ إلى مقياس الضغط الجويّ، فعرفتُ أنني الآن على ارتفاع خمسة آلاف متر، وفي هذه اللحظة بدأتُ أشعرُ بأنَّ الهواءَ غيرُ كافٍ، وأنني أجدُ صعوبةً في التنفُّس. لقد أقلقَني هذا أشدَّ القلق، لكنّني سأتصرّف.

سحبتُ الحبلَ لكي أطلقَ الغازَ، وأنخفضَ، لكنّ السّدادةَ لم تنفتحْ. أكانَ ذلكَ نتيجةَ ضعف أصابني أم أنّ عُطلاً مُعيَّناً حدَث؟! صُعِقتُ، إذ إنني لم أكنْ أحسُّ بأنني أرتفعُ، فلا شيءَ يتحرّكُ قيدَ أنمُلَة، لكنَّ تنفُّسي راحَ يزدادُ صُعوبةً أكثرَ فأكثر، وفجأةً خطرَ لي



أنّ المنطادَ سينفجرُ إنْ لم أتمكّنْ من إيقافه، وأنني سألقى حَتْفي. يا للهَوْل!

ولكي أتحقّقَ من أنني لا أزالُ أرتفعُ، ولستُ أراوحُ في مكاني، ألقيتُ عدّةَ قُصاصات من الورق خارجَ السلّة، وكالحجارة الصُّلبة طارت القُصاصاتُ نحوَ الهاوية. ماذا يعني هذا؟ لا أدري، لكنّني حينها أدركتُ أنني مُندفعٌ كالسَّهم نحوَ الأعلى، فما كان منّي إلّا أنْ تشبّثتُ بالحبل بكلِّ ما أوتيتُ من قُوّة وعزيمة، وسحبتُهُ بشدّة. حمداً لله يا أصدقائي! لقد انفتحت السّدادة.

ألقيتُ قُصاصةً من الورق مُجدّداً، فإذا بها، لفرحي، تحومُ بجواري، ثمّ ترتفعُ، وهذا يعني أنني بدأتُ أنخفض، وفجأةً دخلتُ ما يُشبهُ بحراً من ضباب، لكنّني أدركتُ أنّها سُحبٌ كثيفة لا أكثر، ثمّ هبّتْ ريحٌ قويّةٌ جدّاً، وحملَتْني



إلـى مكان بعيد، ولـم تلبث الشـمسُ أنْ أطلّتْ من بين الغيـوم، فرأيتُ كأسَ الأرض تحتي مـن جديد، لكنّني لم أرَ مدينتَـنا، بل رأيتُ غاباتٍ لا عهدَ لي بها وشريطَينِ أزرقَينِ طويلَين. إنّـهُـما نهرانِ يـجريان.

استعدْتُ مرحـي وشـجاعتي مـن جديد، وشـعرتُ بالبهجة والتفاؤل والثقة، ولـم أعُـدْ راغباً في الـهبوط، لكنَّ شـيئاً ما حـرّكَ الهواءَ قُربـي بشـدّة، ولـمّـا التفتُّ رأيـتُ نسـراً ضخمـاً ذا هيبـة. نظرَ إلـيّ النسـرُ بعينين مُـمتلئتين بالدّهشـة، وتوقّفَ ناشـراً جناحيه الكبيرين، ثـمّ هوى نحوَ الأسفل كالـحجر.

ولكـي أخفّـفَ مـن سـرعة هبوطي، رحـتُ أُلقـي الصابـورةَ، وهـي ثِـقَـلٌ يُوضَــعُ للتـوازُن ولتحقيـق الاستقرار للـمنطاد.

لم يمضِ من الوقـت إلّا القليل، حتى أصبحتُ قادراً



على تمييز البساتين والحقول، ورأيتُ أنني غيرُ بعيد عن الغابة الجاثمة في الأسفل. رأيتُ قريةً صغيرة، وقطيعاً من الماشية يتّجهُ نحوَها، ثم سمعتُ أصواتَ الناس وخُوارَ الأبقار.

كانَ منطادي يهبطُ بهدوء وسلاسة. أخيراً رآني الناسُ، فصرختُ، ورميتُ لهم الحبالَ، فتراكضُوا من تحتي، ورأيتُ صبيّاً يسبقُ الجميعَ، ويُمسكُ الحبلَ، ولم يلبث الآخرونَ أنْ حَذَوا حَذْوَهُ، وسارَعُوا إلى ربط المنطاد إلى الشجرة، ثم خرجتُ منهُ أخيراً، ووَطِئَتْ قدماي الأرضَ بعدَ ثلاث ساعات من التحليق الشّائق في الجوّ، وكم كانتْ دهشتي كبيرةً لمّا اكتشفتُ أنّ هذه القريةَ لا تبعدُ كثيراً عن مدينتي!

من إصدارات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب

شباط ٢٠٢٤



www.syrbook.gov.sy
E-mail:syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب - ٢٠٢٤م
سعر النسخة: ٥٠٠ ل.س أو ما يعادلها